حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد يوليو – سبتمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

تطوّر الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل

آية علي ناصر*

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
Aya.ali@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

تاريخ الاستلام: 2021/1/24
تاريخ التحكيم: 2021/1/24
تاريخ قبول البحث: 2021/2/5
تاريخ النشر: 2022/9/30

المستخلص:

حظيت اللغة باهتمام علماء العربية قديمًا وحديثًا، وقد اتجهت جهودهم اللغوية في ذلك صوب اللغة التي يتداولها الراشدون، ومحاولة إرشادهم إلى سبل استعمالها استعمالًا بليغًا متجنبين في ذلك الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية، لكنهم في الوقت نفسه أهملوا دراسة جانب مهم من اللغة وهو لغة الطفل، وتطور هذه اللغة، وما يصيبها من تغيرات ترافق مراحل نموها حتى يتمكن الطفل من استعمال اللغة استعمالًا صحيحًا كما يفعل الراشدون، فلم نجد عالمًا أفرد مؤلّفًا تناول هذه المسائل، أو قدَّم لنا تعليلات لغوية للمظاهر التي ترافق نمو اللغة عند الطفل، غير إشاراتٍ عابرة في ثنايا كتبهم. بيد أنَّ الحال لم يبقَ على ما كان عليه سابقًا، فبعد التطور الكبير الذي حدث في الدراسات اللغوية في العصر الحديث طرق هذا الباب الكثير من العلماء، لكن الدراسات في هذا الجانب لا تزال قليلة، وهذا ما دفع الباحثة لإجراء عدة بحوث تتناول اللغة عند الطفل، ومن هذه البحوث دراسة تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل، حتى يقف دارس اللغة على تطور هذا الجانب من اللغة عند الطفل، ومراحل هذا التطور حتى يصل إلى الاستعمال الصحيح للغة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

المقدمة:

منذ القدم وجَّه فريقٌ من علماء الأصوات اللغوية أكبر عنايتهم إلى دراسة مسألة إحداث المتكلم للأصوات، فضلًا عن دراسة مسألة انتقال هذه الأصوات في الهواء، وتلقي أذن السامع لها، فمهمة علم الأصوات اللغوية دراسة الصوت الحي للإنسان في سياقاته النطقية الفعلية، وتحليل السلسلة الكلامية إلى العناصر التي يمكن تجريدها، ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصرٍ من هذه العناصر[1]، لكن في السياق نفسه أهمل علماء الأصوات اللغوية دراسة جانب مهم من الأصوات يتمثل في طفولة هذه اللغة، فقلَّ أنْ تجدَ عالمًا من علماء الأصوات اللغوية مهتمًا بدراسة المراحل التي يمرُّ بها الصوت عند الطفل حتى يصل إلى مرحلة الاستعمال الصحيح له، ودراسة أسباب هذا التدرج في الارتقاء، وعلى الرغم من وجود جانب كبير من هذا الموضوع يقع في اختصاص علماء الأصوات اللغوية – فهم الأجدر والأولى في تقديم وصفٍ صحيح للأصوات، وإعطاء التعليلات الصوتية الصائبة للمظاهر الصوتية التي ترافق النمو اللغوي عند الطفل– تجدهم يتركون هذه المهمة لعلماء النفس المهتمين بدراسة جانب النمو اللغوي عند الطفل، لذلك وجَّهتُ اهتمامي صوب هذا الموضوع للوقوف على التغيرات والتطورات التي ترافق مراحل نمو اللغة عند الطفل حينما يشرع في إقامة علاقات ترابطية بين الأصوات لتركيب الكلمات والجمل ودراسة ذلك من وجهة نظر لغوية. وقد استعنتُ في بحثي هذا بعددٍ من المنطوقات الحية جمعتها بصورة عشوائية من أفواه أطفال الحضانات ورياض الأطفال. وقد حرصتُ في بحثي هذا على تقديم وصف موجز لمفهوم الفونيم والانسجام الفونيمي والفونولوجيا؛ لأنها مفاهيم مرتبطة بجانب لغة الطفل ارتباطًا كبيرًا؛ فهي تمثل المكونات الأساسية واللازمة لها.

الفونيم (Phoneme):

وهو مصطلح يعني الرمز الصوتيّ النطقيّ اللغويّ الخام، الناشئ من إحدى الحجرات الصوتية المختلفة نتيجة للحركات التلقائية لأعضاء النطق، ولاشتراك الحجرات الصوتية المختلفة، فأعضاء النطق والحجرات الصوتية هما أداتا النطق الأساسية في بناء الفونيمات، وتكوينها، وإنتاجها في أي لغة من لغات العالم؛ لذلك يختلف وصف الفونيمات وتصنيفها من لغة إلى أخرى تبعًا للاختلاف الفسيولوجي لأعضاء النطق والحجرات الصوتية فقط، التي تختص بنطق كل لغة على حدة[2].

وقد جرى العرف عند بعض الدارسين علي تصنيف الفونيم إلى صنفين، الأول: (الفونيم الرئيس Primary phoneme)، والثاني: (الفونيم الثانويّ secondary phoneme)، وهذا التصنيف الثنائيّ هو المنهج السائد في الأوساط الامريكية، ولاسيما مدرسة بلومفيلد وأتباعه، وقد أخذ بهذا التصنيف كثيرٌ من اللغويين في العالم[3].

ومعنى الفونيم الرئيس هو ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيًا من بنية الكلمة المفردة كالباء والتاء... وغيرهما بوصفها وحدات منعزلة عن السياق، وبذلك لا يكون لها معنى، أما الفونيم الثانويّ فهو ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيًا من بنية الكلمة ويظهر ويُلاحظ في الكلام المنطوق بوصفه وحدة نطقية ضمن السياق الفعلي[4]، وبذلك يكون له معنى، فيؤدي تغييره إلى تغيير في المعنى، فكلمة (صَادَ) تختلف عن كلمة (سَادَ) في اللغة العربية؛ نظرًا لاختلاف الفونيم الأول في الكلمتين السابقتين[5].

ومن ناحية أخرى رأى اللغوي الانكليزي دانيال جونز تحليل الفونيم الواحد إلى أفراد تسمى الوفونات، والالوفونات كل مظهر مادي مختلف للفونيم، ومعنى ذلك أنَّ الفونيم واحد، والالوفونات تنوعات نطقية له[6]. فتغيير الفونيم يؤدي إلى تغيير المعنى، أما الألفون الذي هو تنوع نطقي فلا يؤدي تغييره إلى تغيير في المعنى.

انطلاقًا من هذا عرَّف أحد الباحثين الفونيم متأثرًا بما ذهب إليه دانيال جونز قائلًا إنَّ الفونيم "هو عبارة عن الصور المختلفة للصامت الواحد، وهذه الصور الصوتية المختلفة يُعبَّر عنها في الكتابة برمز كتابي واحد"[7]. فمثلًا الرمز الكتابي لصوت النون هو: ن، والتنوعات النطقية له كثيرة من ذلك:

– نجد النون الساكنة قبل الصامت الشفوي الاسناني الفاء تُنطق شفوية أسنانية، نحو كلمة: انفلق

– ونجد النون الساكنة قبل الصوت الأسناني اللثوي كالطاء تُنطق أسنانية لثوية، نحو كلمة: انطلق

وإنما حدث هذا الاختلاف والتنوع نتيجة لموقع فونيم النون من الكلمة، فضلًا عن نوع الصوت المجاور له، واختلاف صفاته[8].

الانسجام الفونيمي:

يتكون الفونيم على هيأة حزمة صوتية، مؤلفة من عدد محدد من الذبذبات في الثانية، وتختلف الحزمة الصوتية في شكلها وتركيبها تبعًا لاختلاف الفونيمات، إذ لكل فونيم حزمة صوتية خاصة به، ومميزة له.

ومن المعلوم أنَّ لكل فونيم من الفونيمات في أي لغة من اللغات صفاته الذاتية، كطريقة الإنتاج، والشكل، والتكوين، والصفات، والخصائص، والرنين الخاص به، الزمن المحدد له، فضلًا عن أعضاء نطق وحجرات صوتية محددة مسؤولة عن إصداره[9]. لكنْ حينما تدخل هذه الفونيمات في علاقات ترابطية مع غيرها من الفونيمات غالبًا ما يلحقها تغييرات في صفاتها الذاتية وخصائص انتاجها المخرجية؛ لاختلاف تركيب الفونيمات مع بعضها وتفاعلها، فبسبب هذا التفاعل تنسجم فونيمات الكلمة فيما بينها بطريقة تلقائية وعفوية.

وفي الوقت الذي يمثل فيه الفونيم العنصر الأول الذي يدخل في تركيب الوحدة الصوتية التي تسمى الكلمة الصوتية، أو المورفيم، أو اللفظ، لا يكون لهذا الفونيم حياة أو معنى مستقل بمفرده في معظم اللغات إلا بعد دخوله في علاقات ترابطية تجعله ضمن سلسلة معينة من الفونيمات المنطوقة المسموعة، شريطة أن يكون لها معنى، ويمكن تقطيعها لغويًا إلى مقاطع، مع إمكانية تحليلها لغويًا، ونطقيًا، وصوتيًا، وسمعيًا[10]. ومعنى ذلك أنَّ الأصوات التي يشكلها الطفل في كلمات لا يكون لها حياة إلا إذا عنى من ورائها التعبير عن معانٍ معينة، لكن في أثناء ذلك يتعلم الطفل كيفية النطق بالأصوات نطقًا صحيحًا، وكيفية عقد علاقات ترابطية تجمع ما بين الأصوات لتأليف الجمل، فيتعرض حينها لبعض الانحرافات النطقية الطبيعية، فبعض الأصوات يمكن للطفل النطق بها منفردةً أو مجاورةً للصوائت بصورة صحيحة، لكنه حالما يشرع في تشكيل الكلمات والجمل فتتجاور الأصوات فيما بينها تتعرض إلى بعض الانحرافات النطقية تفرضها طبيعة الأصوات المتجاورة في سياق نطقي معين، فضلًا عن المهارات النطقية المحدودة للطفل في مراحل حياته الأولى، فالأصوات عنده تمر في مرحلة النمو، وهي تتدرج في ذلك، لذلك يتغير نطق الطفل للكلمة الواحدة مرةً بعد مرة حتى يتمكن من إحداث انسجام فونيمي بين الأصوات المتجاورة، محافظًا في الوقت نفسه على النطق الصحيح لكل واحدٍ منها.

الفونولوجيا Phonology:

ظهر في أوروبا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين علم حديث نسبيًا يسمى (علم اللغة) وذلك على يد لغويين أوروبيين أمثال فرديناد دي سوسير، ونيكولاي تروبتسكوي، ورومان جاكبسون، ولغويين امريكان أمثال ليونارد بلومفيلد، واوتو يسبرسن، وأدوارد سابير، وقد عُني هذا العلم –علم اللغة– بدراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية من جميع جوانبها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والأسلوبية، والتداولية، وقد انقسم هذا العلم على فرعين أساسيين هما: علم اللغة العام (النظري)، وعلم اللغة التطبيقي، وكلٌّ منهما يندرج تحته عددٌ من الفروع[11]، غير أنَّ ما يهمنا من بين هذه الفروع هو فرع الفونولوجيا، الذي هو قسيمٌ للفوناتيك (phonetics)، فما إنْ تذكر أحدهما حتى تذكر الآخر، وكلاهما يعدُّ من صميم علم اللغة، ويندرج تحت فرع علم اللغة العام النظريّ.

وقد استعمل دي سوسير اللفظ phonetics للدلالة على ذلك العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث، والتغيرات، والتطورات عبر التاريخ، في حين حدد مجال الـ phonology بدراسة العملية الميكانيكية للنطق[12].

وبخلاف ذلك استعمل علماء اللغة الامريكان والانكليز مصطلح الـ phonology لعشرات السنين في معنى (تاريخ الأصوات)، ودراسة التغيرات والتطورات التي تحْدث في أصوات اللغة نتيجة لتطورها، أما مصطلح الـ phonetics فقد استعمل للدلالة على العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية، ويحللها، ويصنفها، من غير الإشارة إلى تطورها التاريخي[13]. والباحثة تذهب في هذا الجانب إلى ما ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس حينما جعل عناية مصطلح الفونتكس بالأصوات الإنسانية شرحًا وتحليلًا دون النظر إلى ما تنتمي إليه من لغات، لهذا فهو لا يرتبط بلغة محددة، ويمكن استعمال آلياته في تحليل كل اللغات العالمية، أما فرع الفونولوجي فهو يُعنى –كما يرى– بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه وصرفه، ولهذا فضَّل أن يُطلِق عليه مصطلح علم الأصوات، الذي يخدم بنية الكلمات وتركيب الجمل، فهو يرتبط بلغة محددة[14].

وحين النظر إلى هذين المصطلحين من ناحية الاصطلاح، والاستعمال نجد مدلول الفونتكس أضيق نسبيًا من مفهوم الفونولوجيا، فالأول يُعنى بدراسة الأصوات بوصفها أحداثًا نطقية، دون النظر إلى قيم هذه الأصوات وصفاتها وخصائصها، في حين نجد الآخر معنيًا بدراسة الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، وما تحمله من معانٍ، وما تخضع له من قوانين صوتية تفرضها عليها مجاورتها لغيرها من الأصوات[15]. وعليه يُعنى مصطلح الفونتكس بدراسة الأصوات منفردةً، فضلًا عن دراسته الجهاز النطقي وعملية إصدار الصوت اللغوي واستقباله. وأما الفونولوجيا فيُعنى بدراسة الأصوات حينما تدخل في علاقات ترابطية مع غيرها من الأصوات مؤلفة كلمة ذات معنى، لذلك على الدارس أنْ يبدأ حين دراسته لأصوات اللغة بالمستوى الأول (الفنوتكس) ثم ينتقل من الجزء إلى الكل متمثلًا بالمستوى الثاني (الفونولوجي).

لكنَّ الأمر غير ذلك من الناحية العملية المتمثلة بالأداء اللساني، فالإنسان إذا أراد التكلم فعليه أنْ يبدأ بالمستوى الفونولوجيا؛ لأنَّ المرحلة الأولى من الكلام تقتضي أنْ تتكون الفكرة لدى المتحدث، وحينها يقوم الدماغ بتحديد الأصوات ذات العلاقة، وجمع المفردات ذات العلاقة بتلك الفكرة، مع تطبيق قواعد النحو والصرف على المفردات؛ لتأتي السياقات الكلامية بصورة سليمة وصحيحة قواعديًا، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الفونتكس، فتصدر الأوامر من الدماغ إلى عضلات الجهاز الصوتيّ عبر الأعصاب فيقوم الجهاز الصوتي بإخراج الأصوات اللغوية التي نسمعها في أثناء التحدث مع الآخرين[16]. ويطلق العلماء على هاتين المرحلتين (الفونولوجية والفونتكية) مصطلح المراحل الفسيولوجية اللازمة لإتمام عملية الكلام، وتتلخص بالمراحل الآتية[17]:

1- مرحلة التصور

2- مرحلة إصدار أصوات ألفاظ الكلام

3- مرحلة التأكد من صحة رنين الألفاظ صونيًا ولغويًا وفسيولوجيًا.

وهذا الوصف الأخير لمراحل عملية الكلام يَصدُق على ما يُسمى بالنطق، وعليه يمكن تعريف النطق Articulation بأنه العمليات الحركية الكلية المستعملة في تخطيط الكلام وإنتاجه[18].

التطور الفونولوجي عند الطفل:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أنَّ التطور هو: "تحول تدريجي من حال إلى حال"[19]، وهو أيضًا تغير تدريجيّ يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها[20]، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[21] نطفة وعلقة ومضغة[22]. يتبين مما سبق ذكره آنفًا أنَّ التطور هو تغير يحدث بصورة تدريجية، وخير مثال على ذلك نجده في تطور اللغة عند الطفل، وأكثر مَن يلحظ هذا التطور التدريجيّ هما والداه اللذان يراقبان بشغف كيف تتحول صيحاته الأولى إلى أصوات، ثم تتمثل الأصوات في مقاطع تتشكل منها الكلمات التي تتجمع في وحدات كلية ذات معنى بصورة يستطيع الآخرون فهمها حينما تصدر عنه، ويستطيع الفرد نفسه فهمها حينما يسمعها صادرةً عن الآخرين، وكل مرحلة من هذه المراحل تتعرض فيها لغة الطفل إلى تغييرات فونتكية وفونولوجية كثيرة حتى تصل إلى صورتها المثالية المتمثلة بالاستعمال المماثل للغة أبناء بيئته اللغوية[23].

وفيما يختص بالمستوى الصوتيّ الفونولوجيّ من لغة الطفل نجده ينماز بالمظاهر الثلاثة الآتية[24]:

1- الخصائص الجسمية التي تتضمن تنظيم الأصوات وإدخالها، وتصنيف المقاطع، والتغييرات في تحديد المقاطع الصوتية.

2- الخصائص الإدراكية وتشمل الإطالة، والنبر، والنغمة، وتأثير الأصوات المجاورة، وطبقة الصوت، وعلوه، وتردده.

3- الخصائص الإنتاجية وتتمثل في مكان النطق وطريقته، وأثر التقطيع الصوتي في نقاط الفوارق.

ولا يصل الطفل إلى مرحلة الاستعمال الصحيح لأصوات لغته، ومفرداتها، وتراكيبها إلا بعد مروره بمراحل التطور النمائي للقدرة على تحريك أعضاء النطق بطريقة دقيقة وسريعة كما يحدث عند أي إنسانٍ عاديّ حينما يشرع بالكلام في أي وقت. وهذا يقودنا إلى أمرٍ آخر لابد من الإشارة إليه وهو أنَّ جميع البشر يكتسبون لغتهم الأم (الأصلية) في أثناء سنين حياتهم الأولى، وتكون هذه المعلومات المكتسبة بشكل كبير من النوع اللاواعي، بمعنى أنَّ الأطفال الصغار يستطيعون أنْ يتعلموا كيف ينطقون أصوات بيئتهم، وكيف يشكلون تراكيب قواعدية معينة كالجمل الموصولة مثلًا دون أنْ يكونوا واعين بأنَّ هذه الجمل موصولة، وأنَّها تؤدي وظيفة وصفية[25]. والأمر يحدث بالطريقة نفسها حينما يكتسب الطفل النظام الصوتيّ، فاكتساب المعلومات الصوتية يحدث بصورة عفوية أيضًا، فلا يكون للطفل أدنى فكرة عن طبيعة العلاقات التي تفرضها مجاورة صوت ما لصوتٍ آخر، وما تتعرض له هذه الأصوات من تغييرات في خواصها النطقية نتيجة لمجاورتها أصواتًا أخرى، ومعنى ذلك أنَّ الأطفال يعرفون ما يحتاجونه من هذه الأصوات حينما يشرعون في التعبير عن فكرة ما، بيد أنَّهم لا يعون ما يجري لهذه الأصوات من تغييرات صوتية قد ينتج عنها إدغام صوتٍ بآخر أو حذف صوتٍ، أو إبدال صوتٍ بآخر.

مراحل تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل:

أيسر وصف يمكن أنْ يشرح لنا عملية اكتساب الطفل لغة بيئته يتمثل في رغبة عفوية تنبع من داخل الطفل للتقليد، فالطفل السوي تدفعه غريزة التقليد فضلًا عن الحوافز التي يتلقاها من بيئته لتكرار عملية إخراج الأصوات والتلذذ بها "وعلى مر الأيام يأخذ الطفل بالمقارنة والمقاربة بين أصواته وأصوات من حوله؛ وفي النهاية يُحاول إنتاج أصوات مطابقة للغة السائدة"[26]. فالطفل يبدأ بتعلم لغته الأم عن طريق المطابقة بين إدراكاته وأفعاله وتمثيلاته والملفوظات التي يسمعها[27]

وفي هذا السياق ثمة أمرٌ لابد من الإشارة إليه وهو ضرورة التفريق بين عمليتين مختلفتين تقفان وراء اكتساب الطفل اللغة، الأولى هي عملية فهم الطفل لغة أهل بيئته الأسوياء، والثانية هي استعمال الطفل هذه اللغة، والعلماء يؤكدون أنَّ

العملية الاولى تسبق الثانية، فالطفل يفهم بعض العبارات ويستجيب لها استجابات ملائمة قبل أنْ يستطيع استعمال اللغة بمعناها الدقيق[28].

وفي هذا الجانب يقسم علماءُ النفس المختصون بدراسة لغة الطفل مراحل التطور اللغويّ على تقسيمات كثيرة، فمنهم من يجعلها خمسة مراحل هي: مرحلة ما قبل اللغة، ومرحلة الهديل والضحك، ومرحلة المناغاة، ومرحلة التقليد، ومرحلة النطق والكلام [29]. في حين يفضل فريقٌ آخر جعلها مرحلتين فقط هما: مرحلة الاكتساب والارتقاء الفونيميّ (Phonemic)، وهي تبدأ بظهور الوحدات الصوتية للغة، ومرحلة الاكتساب والارتقاء الصوتيّ (Phonological) وهي تبدأ بظهور القواعد التي يجري من خلالها تركيب الأصوات في تتابعات لغوية مماثلة للتي يسمعها في بيئته اللغوية [30].

أما الباحثة فتفضل أن تطلق على المرحلة الأولى مصطلح: مرحلة التصورات الفونتكية، وأن تطلق على المرحلة الثانية مصطلح مرحلة التشكيلات الفونولوجية، وفي السطور الآتية نتعرف خصائص كل مرحلة منها، وأهم التغييرات التي تتعرض لها لغة الطفل من الناحية الفونتكية والفونولوجية، وأسباب هذه التغيرات، علمًا أنَّ هاتين المرحلتين تبدآن منذ ولادة الطفل، وتستمران حتى بلوغه سِنَ الخامسة أو السادسة، إذ يتمكن الطفل حينها من استعمال اللغة بصورة صحيحة وسليمة[31].

-أ- مرحلة التصورات الفونوتيكية:

حينما يولد الطفل لا تكون أجهزته الإدراكية أو الصوتية قادرةً بعدُ على إصدار الكلام، ولكنها مع ذلك تكون مبرمجة بشكل عام بصورة تكتسب هذه القدرة بناءً على عملية نضج الجهاز العصبيّ المركزيّ[32].

وهذه المرحلة تمتد من ميلاد الطفل حتى نهاية سنته الأولى تقريبًا[33]، يبدأ الطفل في أثنائها ببناء فونيمات اللغة وتكوينها وإنتاجها[34]، لذلك فضّلتُ أن اطلق على هذه المرحلة: مرحلة التصورات الفونتكية؛ لأنها المرحلة التي يبدأ الطفل فيها باختبار جهازه النطقي من خلال إصدار مجموعة أصوات تمثل فونيمات اللغة التي يتعلمها.

أما الأصوات التي تظهر في هذه المرحلة فهي أصوات المد Vowel [35]، فهي أشيع ظهورًا في هذه المرحلة من بقية أصوات اللغة[36]؛ لسهولتها وخفتها في النطق، فهي تمثل القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الطفل لتشكيل العلاقات الترابطية بين فونيمات الكلمات التي ينطق بها، ولن أطيل الحديث عن هذه المرحلة؛ فالطفل لا يمتلك لغة حقيقية في هذه المرحلة، وإنما مجرد مقاطع صوتية يشكلها من أصوات المد وأصوات أخرى يسهُل عليه النطق بها كالباء، والميم، والدال، والنون، والتاء[37].

-ب- مرحلة التشكيلات الفونولوجية:

ليس من السهل تحديد المدة الزمنية الفاصلة لانتقال الطفل من مرحلة التصورات الفونتكية إلى مرحلة التشكيلات الفونولوجية، لكن هناك بعض القرائن التي يمكن من طريقها معرفة أنَّ لغة الطفل تتطور وتسير في تطورها بخطوات سديدة، من ذلك إتقان الطفل لاستعمال خمسين كلمة تقريبًا، فضلًا عن فهم الطفل لكلام الكبار، وإتقانه إنتاج عدد من الإيحاءات الكلامية، ومع تباين الأفراد في اكتساب الأحداث الكلامية والفونيمات، فإنها بشكل عام تظهر في السلسلة النمائية الصوتية الآتية[38]:

1- الصوائت

2- الأصوات الأنفية

3- الأصوات الانفجارية

4- الأصوات الاحتكاكية

5- الأصوات المزجية

وأهم ما يواجه الطفل في هذه المرحلة هو محاولة إتقان عملية الإنتاج الصحيح لفونيمات لغته، وفي أثناء هذه المحاولات تظهر بعض التغيرات الشائعة في لغة الطفل، كإبدال الصوت المطلوب بآخر، فمثلًا يقول: (لوح) عوضًا عن (روح) أي اذهب، ويقول (دولا) عوضًا عن (دورا) وهي شخصية كارتونية، فالطفل أخفق في إنتاج صوت الراء في المثالين السابقين فدفعه ذلك عفويًا إلى إبداله بصوت اللام، ومن التغيرات الشائعة أيضًا حذف الطفل للصوت الذي يُخفِق في إنتاجه، فمثلًا يقول: (نان) عوضًا عن (حنان)، ويقول (لاس) عوضًا عن (كلاص) أي قدح، فحينما لم يستطع الطفل إنتاج صوت الحاء في بداية الكلمة الأولى، وصوت الكاف في بداية الكلمة الثانية عمد إلى حذفه عفويًا، وقد لا تقتصر ظاهرة الحذف هذه على حذف الصوت الأول من الكلمة، فقد يكون الصوت المحذوف في وسط الكلمة أو في آخرها، من ذلك قوله: (فاش) عوضًا عن (فراش)، وقوله: (آفة) عوضًا عن (آسفة)، وغير ذلك من الأمثلة التي يلحظها بسهولة كل مَن يتداول الحديث مع طفلٍ صغير قد تجاوز عمر السنتين. وهذه الامثلة المتنوعة لمظاهر الحذف تدل على أنَّ سبب الحذف هو عجز الطفل عن نطق الصوت المطلوب بصورة صحيحة، مما يدفعه إلى حذفه.

وحتى يتمكن الطفل من النطق الصحيح بفونيمات الكلمة عليه أن يتدرب على إنتاج هذه الفونيمات من خلال تكرار النطق بالكلمات، ويستطيع والده مساعدته في ذلك، من خلال حثه على نطق الكلمة التي يواجه صعوبة في النطق بأحد فونيماتها، وتشجيعه على إعادة نطق الكلمة مرات متكررة بصورة صحيحة.

ومن الأمثلة التي تبين تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل، وتطور مهاراته النطقية والعقلية حتى يصل إلى النطق الصحيح بالكلمة، الكلمات الآتية:

أون ← عِنون ← عيون
مو ← موس ← موز
وحي ← لوحي ← روحي (أي: اذهبي)
سا ← سالة ← سارة
بايبي ← بالبي ← باربي

من الأمثلة المذكورة آنفًا نلمس محاولات الطفل لعقد علاقات ترابطية ملائمة بين فونيمات الكلمات التي يسمعها من محيطه اللغوي، محاولًا بصورة عفوية إيجاد انسجام فونيمي يجمع فيه بين المحافظة على أصوات الكلمة المنطوقة، وسهولة النطق بها، غير أنَّ هذا الأمر يدفعه بصورة غير مقصودة إلى إجراء تعديلات في بنية الكلمة وأصواتها، فحينما يسمع الطفل كلمة ما للمرة الأولى تجده يقوم عفويًا بحذف بعض أصواتها ؛ لورودها في تتابع نطقي يصعب عليه محاكاته بصورة صحيحة، لكنه بتكرار النطق بأصوات الكلمة يقوم بإبدال الصوت الذي حذفه في المحاولة السابقة بصوت آخر أيسر منه؛ بسبب تطور مهاراته الحركية للتحكم بحركة أعضاء النطق، ففي المثال الأول كلمة (أون) حذف الطفل صوت الياء؛ لأنه عجز عن النطق به حينما ورد في هذا التتابع النطقي المحدد، فضلًا عن إبداله صوت العين همزةً، لكنه في مراحل لاحقة تطورت فيها المهارات النطقية لديه يقوم عفويًا بإبدال صوت الياء نونًا؛ لأنَّ هذا التتابع النطقي أيسر لديه، ويستمر الطفل في نطق هذه الكلمة مرات متعددة، حتى يتمكن من النطق بفونيمات هذه الكلمة بصورة صحيحة. أما في المثال الثاني فنجد الطفل قد حذف صوت الزاي من الكلمة الأصلية (موز) ؛ لأنَّه وجد صعوبة في النطق به، لكنه بتكرار محاولة النطق بالكلمة يُبدل صوت الزاي سينًا؛ لأنه أيسر في النطق لديه من صوت الزاي فيقول (موس)، وهكذا تستمر محاولاته حتى يصل إلى النطق الصحيح بأصواتها. أما المثال الثالث المتمثل بكلمة (روحي) أي: اذهبي فنجد الطفل في محاولاته الأولى للنطق بأصواتها يلجأ إلى حذف صوت الراء، وهذا الأمر طبيعي؛ فجميع الأطفال يواجهون في سنوات

حياتهم الأولى صعوبة في النطق به؛ لعدم سيطرتهم الكاملة على حركة عضلة اللسان التي تستلزم إحداث ضربات متكررة ومتناسقة على سقف الحلق، مما يدفعهم ذلك جميعًا إلى حذفه، أو إبداله صوتاً أيسر منه في النطق كصوت الـلام مثلًـا، فنراه يقول (لوحي) بدلًا من (روحي)، وهكذا تستمر محاولاته حتى يتمكن من النطق بصوت الراء بصورة صحيحة. أما في المثال الرابع المتمثل بكلمة (سا) فنجد الطفل قد اجتزأ أيسر مقطع يمكن لأعضائه النطقية النطق به من فونيمات الكلمة جميعها، المتمثل بالمقطع الأول (سا)، وحينما تطورت مهاراته النطقية أكثر تمكن من النطق بأصوات الكلمة جميعها، لكنْ مع إبدال الراء لامًا؛ لصعوبة النطق بصوت الراء في هذه المرحلة؛ وذلك لعجز جهازه النطقي عن إنتاج هذا الصوت في هذا الوقت فلجأ إلى إبداله صوت اللام، وهو صوت أيسر منه في النطق. أما فيما يتعلق بالمثال الأخير المتمثـل بكلمـة (باربي) وهي لُعبة تعشقها جميع الفتيات الصغيرات فنجد الطفل يواجه صعوبة في النطق بصوت الراء يدفعه ذلك بصورة غير مقصودة إلى إبداله ياءً في بداية الأمر، ومع تتابع المحاولات للنطق بأصوات الكلمة يبدل الراء لامًا، وهكذا تسـتمر محاولاته لمحاكات أصوات الكلمة حتى يتمكن في نهاية المطاف من النطق بأصوات الكلمة بصورة صـحيحة. والأمثلـة غير ما ذكرتُ كثيرة جدًا لكن التعليلات الصوتية للتغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة وأصواتها لا تخرج عن إطار مـا بينتُ.

نتائج البحث:

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

1- يكتسب الطفل لغة بيئته في سنين حياته الأولى، بيد أنَّ عملية الاكتساب هذه تسير بصورة تدريجية، وتمر بمراحل ارتقائية تبدأ من الأسهل إلى الأصعب، فتبدأ باكتساب فونيمات اللغة الاسهل نطقًا، والتي تتمثل بأصوات المد، ثم ينتقل تدريجيًا إلى اكتساب الصوامت الأسهل نطقًا، التي تتمثل في الفونيمات: الباء، والميم، والدال، والتاء، فيشكل من هذه الصوامت مقاطع مفتوحة تتطور تدريجيًا لتتشكل منها الكلمات التي تتجمع لاحقًا في وحدات كلية ذات معنى.

2- يكتسب الطفل المعلومات الصوتية بصورة عفوية، فلا تكون له أدنى فكرة عن طبيعة العلاقات التي تفرضها مجاورة فونيم لآخر، وما يجري لها من تغيرات في صفاتها الذاتية، وخواصها النطقية، مما ينتج عنه إدغام صوتٍ بآخر، أو حذفه أو إبداله بآخر.

3- أهم ما يواجه الطفل في مرحلة تشكيل العلاقات الترابطية بين فونيمات اللغة لإنتاج الوحدات الصوتية المتمثلة بالكلمات هو إتقان عملية إنتاج فونيمات اللغة بصورة صحيحة، وفي أثناء ذلك تتعرض فونيمات الكلمة إلى تغيرات كثيرة تتمثل في الحذف أو الإبدال أو الإدغام، فحينما يحاول الطفل النطق بكلمة ما ويواجه صعوبة في النطق بأحد فونيماتها يلجأ إلى حذفه، وبعد تطور مهاراته العقلية والنطقية قليلًا يلجأ إلى إبدال الفونيم الذي واجه صعوبة في النطق به في كلمة ما بآخر أيسر منه نطقًا، وأقرب إليه مخرجًا، بعد عجزه عن النطق به نطقًا صحيحًا، وبهذه الصورة تستمر عملية الإبدال الصوتي هذه حتى تصل إمكاناته العقلية والنطقية إلى مرحلة تمكنه من النطق الصحيح بفونيمات الكلمة.

4- أهم ما يساعد الطفل على تطوير مهاراته النطقية هو حث الوالدين له وتشجيعه على إنتاج فونيمات الكلمة بصورة صحيحة، مع التأكيد المستمر على النطق الصحيح بالفونيم الذي يواجه صعوبة في النطق به حينما يدخل في علاقات ترابطية متنوعة مع غيره من الفونيمات.

Abstract

The development of phonological aspect of language to the child

By Aya ali naser

The language has attracted the attention of the Arab linguist in the past and recently, and their linguistic efforts have focused on spoken language by adults trying to guide them how to use it in an eloquent manner avoiding the grammatical and spelling mistakes; however, they neglect to study an important aspect of language, that is the child language, and the changes that contain its stages of development so that the child can use the language in a correct way as adults do, we did not find a linguist wrote a book that dealt with these issues, or provided us with these linguistic explanations of the manifestations that contain the development of language to the child, put just passing references in their books. However, the situation did not stay the same as before, after the great development that took place in the language studies in modern times, this section got attention of many linguist, but the studies in this aspect are still few, and this led the researchers to conduct several researches on the language of the child, one of these researches in the study of the development of the phonological side of the language to the child, so that the language learner will realize the development aspect of language to the child, and the stages of this development until the child reaches the correct use of language.

الهوامش:

1- ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، 100.

2- ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، 106، وعلم الأصوات، بشر، 477، ودراسة الصوت اللغوي، 161و174.

3- ينظر: علم الأصوات، بشر، 496.

4- ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

5- ينظر: الصوتيات العربية، 10.

6- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، 184-185.

7- دراسة في علم الأصوات، 63.

8- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، 184.

9- ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، 107-108

10- ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، ودراسة الصوت اللغوي، 184.

11- ينظر: علم اللغة النفسي، العصيلي، 13-18، وعلم اللغة، الضامن، 30، ومدخل إلى علم اللغة، فهمي حجازي، 17-18.

12- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، 65.

13- المصدر نفسه، 66.

14- ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس، 3.

15- ينظر: علم الأصوات، بشر، 66-67.

16- ينظر: الصوتيات العربية، 12.

17- ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، 1391.

18- ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، 153.

19- معجم اللغة العربية المعاصرة، 1420/2.

20- ينظر: المعجم الوسيط، 750/1.

21- سورة نوح، الآية: 14.

22- ينظر: مجمع بحار الانوار، 463/3، وأساس البلاغة 616/1.

23- ينظر: تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، 217.

24- ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، 155.

25- ينظر: اكتساب اللغة الثانية، 8.

26- بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، 70.

27- ينظر: الطفل واللغة، 103.

28- ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي،102، وسيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، 233-234.

29- ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، 67-69.

30- ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، 103.

31- ينظر: اكتساب وتنمية اللغة، 28، والنمو اللغوي عند الاطفال، 12-13.

32- ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي،112.

33- ينظر: سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، 37، ومباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث،46.

34- ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، 105.

35- ينظر: سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض 48و73، وأطلس أصوات اللغة العربية، 1413.

36- ينظر: علم اللغة، وافي، 130.

37- ينظر: التطور اللغوي عند الاطفال، 89.

38- ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، 158-159.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أساس البلاغة، ابو القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (538هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود، من منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.
2. الأصوات اللغوية، الدكتور ابراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، (د ط)، (د ت).
3. اضطرابات الكلام واللغة، التشخيص والعلاج، الدكتور ابراهيم عبد الله فرج الزريقات، دار الفكر للنشر، والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.
4. اضطرابات اللغة والكلام، الدكتور قحطان أحمد الظاهر، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، الطبعة الاولى، 2010م.
5. أطلس أصوات اللغة العربية، موسوعة عربية تشريحية- فسيولوجية- نطقية- صوتية- لغوية- تعليمية- علاجية، الدكتور وفاء محمد البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1994م.
6. اكتساب اللغة الثانية، مقدمة عامّة، سوزان م. جاس، و لاري سلينكر، ترجمة الدكتور ماجد الحمد، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، 1430هـ-2009م، (د ط).

7. إكساب وتنمية اللغة، خالد محمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، والتوزيع، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2005م.

8. بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، الدكتور صالح الشمّاع، مطبعة الحداد، العراق، البصرة، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1967م، (د ط).

9. تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، الدكتور عبد الرحيم صالح، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1992م.

10. التطور اللغوي عند الأطفال، الدكتور اليون اليوت، تحقيق الدكتور علي بلجوق الصهبي، والدكتور بشير محمد الشاوش، ومراجعة الدكتور أحمد محسن، والدكتور سعدون السويح، والدكتور العيد ابو ذيب، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1998م.

11. دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ- 1997م، (د ط).

12. سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، الدكتور شفيق فلاح علاونة، دار المسيرة للنشر، والتوزيع، والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2004م، والطبعة الثالثة، 2010م.

13. سيكولوجية التنمية اللغوية لطفل الرياض، الدكتور محمد رفقي، دار القلم للنشر، والتوزيع، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م.

14. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الدكتور جمعة سيد يوسف، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد خمس وأربعون ومئة، يناير، كانون الثاني، 1410هـ- 1990م.

15. الصوتيات العربية، الدكتور منصور بن محمد الغامدي، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.(د ط).

16. الطفل واللغة، تأطير نظري، ومنهجي للتمثلات الدلالية عند الطفل، الدكتور الغالي احرشاو، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

17. علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، (د ط).

18. علم اللغة، الدكتور حاتم صالح الضامن، طُبع بمطابع التعليم العالي بالموصل، (د ط)، (د ت).

19. علم اللغة، الدكتور علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة، والنشر، والتوزيع، الطبعة التاسعة، 2004م.

20. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت).

21. علم اللغة النفسي، الدكتور عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1427هـ- 2006م، (د ط).

22. مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني، الدكتور عبد الجليل مرتاض، منشورات ثالة، الجزائر، 2003، (د ط).

23. مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصدقي الهندي، (ت 986هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387هـ-1967.

24. مدخل إلى علم اللغة، الدكتور محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقّحة، (د ط)، (د ت).

25. المدخل إلى علم أصوات العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، 1423هـ- 2002م، (د ط).

26. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد ختار عمر وآخرون، دار الكتب، الطبعة الاولى، 1429هـ-2008م.

27. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، منشورات الدعوة، (د ط)، (د ت).

28. النمو اللغوي عند الاطفال، دراسة تحليلية، الدكتور عطية سليمان أحمد، تقديم الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، 1993م، (د ط).